الفصل الأول

الوفد وخصومه

مقدمة

الكاتب المفوه أمين بك عز العرب من خلال عدة مقالات فى صحيفة «البلاغ»، يتحدث عن خصوم حزب الوفد وقصة كفاح الحزب العريق قبل ثورة 23 يوليو، وأول خصم للوفد هو المستعمر البريطانى الذى كان يكتم على أنفاس المصريين، والمجتمع الدولى بأسره، لدرجة أنه وصف هذا المجتمع بأنهم عصابة طرق دولية، وأن هيئة الأمم ليست إلا هيئة استعمارية، والدول الصغرى نهب يتقاسمه الأقوياء. وهذا ما جعل الزعيم خالد الذكر مصطفى النحاس يلغى معاهدة 1936.

وكان قرار الزعيم بمثابة أول مواجهة حاسمة مع الإنجليز، وتنفيذًا لرغبة الشعب الحانق ضد المستعمر. ولا يخفى إذن أن أمين عز العرب عبر عن ذلك ببلاغة فائقة عندما قال إن كرامة البلاد تتطلب موقفًا حاسمًا ضد هذا المستعمر. وهنا بدأت حملة التشهير ضده لحساب الإنجليز، من خلال رؤساء أحزاب الأقلية والتى يصفها الكاتب بأنها أحزاب قلة إذا خطبوا أو تحدثوا حملوا على الوفد بالبهتان والكذب، وراح أمين عز العرب يكتب سلسلة من المقالات بهذا الشأن، ليفند كل وقائع التشهير ضد الوفد، ويشرح فى أحد المقالات كيف أن الحملات استمرت نارها ضد رموز الوفد، وكيف كانت المساجلات الفكرية بين مؤلفنا عز العرب وكتاب جريدة المصريين وعلى رأسهم الدكتور على الرجال. ويشرح الكم الهائل من المراوغات التى كان يقوم بها الإنجليز.. ورغم ذلك لم تلن قناة الوفد

ويئس خصومه من حملات التشهير الواسعة ضده.

ويتناول هذا الفصل بالتفصيل خصوم الوفد من الإنجليز وأعوانهم خاصة ضد الزعيم خالد الذكر مصطفى النحاس.

وفى هذا الفصل الدور الخالد للزعيم خالد الذكر فؤاد باشا سراج الدين وزير الداخلية، ويتعرض المؤلف لشهادة سراج الدين كاملة بشأن أحداث 26 يناير 1952. وندع القارئ يتعرف أكثر من خلال ما كتبه أمين عز العرب الكاتب الوفدى الذى نال وصف الفيلسوف حتى من خصوم الوفد وعلى رأسهم السعديون.

اليوم خمر وغدًا أمر

الحالة بيننا وبين الإنجليز ميئوس منها بغير شك. فليس هناك أمل ولا شبه أمل فى أن يسلموا لمصر بحقوقها ولا فى أن يحيدوا عن الروح الاستعمارية المسيطرة عليهم وإمبراطوريتهم تلفظ أنفاسها الأخيرة، وهذه طبيعة البشر فى التمسك بأهداب الحياة عند النزع الأخير.

لذلك لم يعد هناك مبرر لأن يسبح أحد منا فى بحور الخيال فيتوهم أنَّ خيرًا سيأتى مصر عن طريق المفاوضة مع الجانب البريطانى.

ولا يجوز لأحد منا أيضًا أن يتصور أو يتخيل أنَّ الإنجليز لم يسلموا لدولة رئيس الوزراء، لأنه لا حزب له، فهم لم يسلموا بالأمس لزعيم مصر بلا منازع رفعة مصطفى النحاس باشا ومصر كلها وراءه.

ونحن قد جربنا المحافل الدولية، جربناها فى قضيتنا وفى قضايا غيرنا فوجدنا أنَّ الدول الكبرى عصابة من قطاع الطرق الدولية، كما أنَّ هيئة الأمم ليست إلا هيئة استعمارية.. والدول الصغرى نهب يتقاسمه الأقوياء ولا يزال الحق للقوة وللقوة وحدها. وما لم تتجمع الدول الصغرى فى بقاع الأرض جميعها وتتحد فى كتلة واحدة وتثور ثورة واحدة على تلك الدول الغاشمة، فلا أمل فى أن تعلو كلمة الحق والعدل فى هذا العالم يومًا من الأيام فلنطرد عن نفوسنا كل وهم يتسرب إليها من هذه الناحية أيضًا، ولنوقن بأنه ليس أمام مصر إلا المذهب الوحيد المذهب السليم الذى اعتنقته البلاد وآمنت به فى يوم 8 أكتوبر من العام المنصرم عندما أقدمت فى كرامة وعزة فألغت المعاهدة واتفاقيتى الحكم الثنائى.

مذهب سليم سديد كان أساسه الإفادة من الماضى وعبره، والاعتماد على النفس، والاتكال على الله.

ولقد أخذت مصر نفسها بهذا المذهب أربعة أشهر، وكان قاب قوسين أو أدنى من الهدف، ولكن حوادث يوم 26 يناير المشئومة عوَّقت سيرها، وها هى مصر بعد ثلاثة أشهر ونصف الشهر من تاريخ وقوع تلك الحوادث تجد نفسها مضطرة إلى العودة إلى وسيلة الاعتماد على نفسها وحدها، وتجد بعد تجربة مرة أن لا وسيلة لنا غير هذه الوسيلة.

ولعلَّ من الواجب الوطنى أن أكون صريحًا غاية الصراحة، واضحًا تمام الوضوح، فما من داعٍ لأن نخدع أنفسنا ونحن على وشك أن نعود إلى بدء السير فى طريق الاعتماد على الـنفس من جديدٍ بعد أن ردتنا الحوادث القاهرة إلى أول الطريق من جديدٍ فضاع منا ما كنا قد قطعناه من مراحل.

سنبدأ حتمًا طريق الاعتماد على النفس، فهل لنا أن نفيد من عبر الماضى القريب.

لما انتهت وزارة الوفد إلى اليأس من المفاوضات أو المحادثات وتقدَّمت بتشريعات إلغاء المعاهدة إلى البرلمان وأقرَّت الأمة هذه التشريعات فى إجماعٍ تام كان إلى جانب هذا الإجماع شىء آخر، كان لنا إخوان من المواطنين يتساءلون عن الخطة الموضوعة التى رسمتها الحكومة لتنفيذ برنامجها.. وكان هذا التساؤل فى ذاته ثغرة فى الصفوف، لأنه كان يحمل فى طياته معنى تفتير العزائم وتصعيب المهمة فوق ما كان يحمل من معنى تجاهل الواقع إلى حد الكشف عن ضعفنا كأمة أمام قوة الخصم المادية. ولم يكن فى مصلحة مصر أن يقال ذلك وأن يتردد به الحديث، ولكنه كان وانتهى.

ومما لا شك فيه أنه لم تكن عند المتسائلين أنفسهم خطة موضوعة يرونها كفيلة بتحقيق الأهداف القومية ولو أنها كانت عندهم لوجب عليهم إرشاد الحكومة القائمة إليها وإلا حكموا على أنفسهم بانعدام الوطنية، ولا نحب أن نخدع أنفسنا،

فاليقين أنَّه لم تكن عندهم أية خطة ولكنها كانت معارضة لغير وجه الله.

ترى ونحن الآن قادمون على مستقبل مجهول، ونحن مضطرون لأن نعود إلى كفاحٍ مريرٍ هل أفدنا من الماضى. هل اقتنعنا جميعًا من قرارة نفوسنا بأنه لم يعد لنا وسيلة لخلاص وطننا إلا بالاعتماد على أنفسنا. أم أن هناك ما لا يزالون يعبث بهم الأمل الساخر.

ثم ترى لو نهض منا غدًا من يدعو مصر إلى الاعتماد على النفس فهل سيعترضه من يتساءل عن الخطة الموضوعة كما جرى بالأمس، وأيضًا ترى هل ستبقى صفوفنا مبعثرة وكلمتنا مشتتة ونحن على أبواب يوم عصيب.

وهل سيستمر البعض منا على ما هو عليه الآن من تشهيرٍ وتحقيرٍ بالبعض الآخر؟

وهل وكلت إلينا المقادير أن نشمت بنا خصومنا وأن نهدم كياننا بأنفسنا؟

وهل سيظل الحكم العرفى قائمًا، وتبقى الحياة النيابية معطلة؟

تلك أمور يجب أن نفكر فيها وأن نتدبرها قبل فوات الوقت.

والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والسلام.